مجلة العلوم السياسيّة

اسم المقال: ملاحظات اولية حول تنفيذ برنامج الخصخصة (نموذج روسيا الاتحادية)
اسم الكاتب: د. نجم عبد الحسين
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/94
تاريخ الاسترداد: 2026/11/22 16:56 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة العلوم السياسيّة جامعة بغداد ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

بحوث ودراسات

ملاحظات أولية حول تنفيذ برنامج الخصخصة (نموذج روسيا الاتحادية)

الدكتور
نجم عبد الحسن (*)

المقدمة :-

تعتبر المؤسسات المالية احدى الادوات الاقتصادية والسياسية التي تم ويتم استخدامها لتحقيق اهداف ايديولوجية ذات مضامين سياسية اقتصادية اجتماعية، من قبل دول الغرب مرتبطة بطبيعتها الامبريالية المتوحشة، وان توجهات ووصفات صندوق النقد والبنك الدوليين، وسياساتهما وعملياتهما، الحالة الاكثر وضوحا وبروزا في هذا الاطار، للوصول الى هدف اساسي يتمثل في اضعاف دور الدولة والقطاع العام، ولصالح القطاع الخاص الراسمالي في كافة الميادين، ولذلك احتل برنامج الخصخصة موقعا هاما ومركزيا ومحوريا في كل ماسبق، واتساقا مع طبيعة النظام الرسمالي.

ان برنامج الخصخصة، وكما يتحقق على ارض الواقع في الوقت الحاضر، ما هو إلا بيع مؤسسات المجتمع الانتاجية والخدمية (مؤسسات الدولة، القطاع العام، القطاع التعاوني) الى القطاع الخاص المحلي والاجنبي، وهذا يعني استحواذ وسيطرة فئات محدودة جدا لا تشكل في أحسن الأحوال ما يساوي 2-5% من السكان على ثروة المجتمع، وأطلق على هذه الفئات تسميات عديدة منها ((القطط السمان، الاوليغارشية الطفيلية)) وغيرها من التسميات. وتحمل الخصخصة مفهوما أيديولوجيا اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا مرتبط بطبيعة النظام الراسمالي، ولهذا فانها مفهوم مناقض تماما للتأميم الاشتراكي، وقد تم الاخذ بالخصخصة وتطبيقها تحت تسميات عديدة منها ((سياسة الباب المفتوح، سياسة العلاج بالصدمة)) وغيرها من التسميات، ورغم تعدد التسميات هذه الا ان جوهرها يبقى واحدا. وستتناول هذه الدراسة دور المؤسسات المالية في تطبيق برنامج الخصخصة، متخذة من تجربة الاتحاد السوفيتي سابقا، وروسيا الاتحادية حاليا، نموذجا لذلك.

(*) مدرس/ كلية العلوم السياسية-جامعة بغداد

وتستهدف الدراسة الاجابة على عدة تساؤلات وهي:-

1. لماذا، ولمصلحة من يتم تنفيذ برنامج الخصخصة.
2. ماهي المنجزات التي تحققت قبل الاخذ بالخصخصة وتطبيقها.
3. ماالذي تحقق بعد الاخذ بها.

وقد تم تقسيم الدراسة من خلال خطتها ارتباطا بهدفها في محاولة الاجابة على التساؤلات التي يتضمنها هدف هذه الدراسة.

أولاً :- المؤسسات المالية والاقتصادية الدولية- تناقضات بين النظرية والتطبيق

ظهر خلال النصف الثاني من القرن الماضي (القرن العشرين) عدد من المنظمات المالية والاقتصادية والعسكرية والتجارية الدولية التي كان منها على سبيل المثال صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، وحلف الناتو، ومنظمة "الغات" المعروفة اليوم باسم منظمة التجارة العالمية، واستخدمت الولايات المتحدة الامريكية وحلفاؤها هذه المؤسسات كأدوات ضغط سياسة واقتصادية وعسكرية ضد المعسكر الاشتراكي وخاصة ضد الاتحاد السوفيتي، كما استخدمتها أيضا بالضد من غالبية بلدان اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية، التي ناهضت ولاتزال تناهض سياسة هذه المؤسسات الدولية، من اجل تحقيق اهدافها التوسعية والمتمثلة بالاستحواذ اللامشروع على خيرات وثروات هذه الشعوب وبهدف معالجة ازمتها العامة وترميم واطالة عمر النظام الراسمالي عالميا. وتشير بعض وثائق تأسيس هذه المنظمات الدولية، ومنها على سبيل المثال صندوق النقد والبنك الدوليين، ان هدفها الرئيس هو تقديم الدعم المادي والنصح والارشاد في الميدان المالي والاقتصادي لاعضاء هذه المؤسسات الدولية!! والعمل الحثيث والجاد على معالجة الخلل في الميزان التجاري، وميزان المدفوعات، والميزانية الحكومية، وتقديم القروض قصيرة الاجل ومتوسطة الاجل....، وكذلك تقديم "المساعدات" المالية للأعضاء!! لكن سياسة تقديم القروض ومايسمى بالمساعدات المالية كانت تنفذ وفق شروط سياسية واقتصادية قاسية، اذ يتم إرهاق اقتصاد البلد الذي يحصل على تلك القروض أو المساعدات وربطه بعجلة الاقتصاد الرأسمالي، وكما يلاحظ ايضا فان هذه المؤسسات الدولية قد اعطت لنفسها "الحق" في التدخل المباشر في الشؤون السياسية والاقتصادية- الاجتماعية لهذه البلدان من خلال توجيه الاستثمارات المالية فيها نحو القطاعات الاستخراجية والخدمية التي تحقق مصالح الشركات المتعددة الجنسية بالدرجة الاولى وحلفائها في هذه البلدان، كما ان سياسة هذه المؤسسات الدولية لا تهدف إلى تطوير القطاعات الانتاجية المادية وخاصة القطاع الصناعي، والقطاع الزراعي، وان سياسة القروض لهذه المؤسسات الدولية تعتمد على تقديم القروض قصيرة الاجل ومتوسطة الاجل بهدف تعظيم الارباح خلال فترة قصيرة وتجنب

المخاطر التي يمكن ان تحدث، وكما يثبت واقع الحياة الفعلية والعملية، ان هدف هذه المؤسسات الدولية هو خلق وتطوير القطاع الخاص الرأسمالي وربطه بالاقتصادة الرأسمالي، والعمل على إضعاف وشل دور ومكانة الدولة في الميدان الاجتماعي- الاقتصادي عبر وسائل متعددة.

لقد أثبتت الحياة بما لا يقبل الشك وجود هوة كبيرة بين ماهو مكتوب في وثائق تأسيس هذه المؤسسات الدولية، وبين ممارستها الفعلية والمباشرة مع اقتصاديات الدول الاعضاء فأصبحت هذه المؤسسات عاجزة عن معالجة العجوزات المالية في البلدان الرأسمالية المتطورة والمتمثلة بالعجز في الميزان التجاري، وميزان المدفوعات، والميزانية الحكومية، وتنامي المديونية الداخلية والخارجية، فعلى سبيل المثال بلغت المديونية الداخلية والخارجية للولايات المتحدة الامريكية حتى عام 2003 بأكثر من 30 تريليون دولار، وبلغ العجز في الميزانية الحكومية لعام 2004 مايقارب من 500 مليار دولار"1"؟!

وكما هو معروف، وخلال مايسمى بالحرب الباردة بين المعسكر الرأسمالي والمعسكر الاشتراكي والتي امتدت من عام 1946 حتى عام 1991، اذ لعب المعسكر الاشتراكي وخاصة الاتحاد السوفيتي دورا كبيرا في الحد من نشاط المؤسسات الرأسمالية الدولية وافشال جزء من مخططاتهاالتوسعية، معتمداً على مؤسساته الدولية ومنها على سبيل المثال مجلس التعاضد الاشتراكي (الكيميكون)، وحلف وارسو، وكان لهذه المؤسسات حضورا ودورا هاما وملموسا في تقديم الدعم المالي والاقتصادي والعسكري لغالبية البلدان النامية من اجل تحقيق استقلالها السياسي وتحررها الاقتصادي.

لقد لعب الاتحاد السوفيتي دورا كبيرا في تقديم الدعم النزيه المالي الاقتصادي والعسكري للبلدان النامية ذات التوجه الوطني والتقدمي وكانت قروضه ومساعداته غير المشروطة وطويلة الاجل وبفائدة سنوية تتراوح بين 3-5 بالمئة سنويا، واغلب الاحيان يتم تسديد القروض مع الفوائد بالسلع الاستهلاكية، ولم يتمكن الشعب السوفيتي من استرجاع قروضه التي قدمها للبلدان النامية...، والبالغة 145 مليار دولار، واصبحت ديونه شبه معدومة او في خبر كان كما يقال؟! وكانت هذه القروض والمساعدات يتم استثمارها نحو تطوير القطاعات الانتاجية المادية، ومنذ الستينات وحتى عام 1985 قام الاتحاد السوفيتي ببناء (5500) مصنع ومعمل في بلدان اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية، وكما تم بناء اكثر من (300) مشروع زراعي في افريقيا، وكما قام الاتحاد السوفيتي بأعداد الكوادر العلمية والمهنية للبلدان النامية وخلال الفترة 1960-1990 تخرج 3.000.000 مليون كادر علمي ومهني، أي بمعدل سنوي (100) الف طالب وطالبة "2". فما هي الكلفة المادية لهؤلاء الكوادر العلمية والمهنية التي تحملها الشعب السوفيتي؟! ناهيك عن اعداد الكوادر العسكرية لهذه البلدان.

لقد كان وجود المعسكر الاشتراكي وخاصة الاتحاد السوفيتي يمثل الخيار والبديل والسند السياسي والاقتصادي والعسكري للبلدان النامية وخاصة الوطنية والتقدمية منها، ناهيك عن وجود التوازن والاستقرار على الصعيد الدولي لصالح البشرية جمعاء. ان وجود الاتحاد السوفيتي وحلفاءه ساعد على تحديد نشاط المؤسسات الغربية الدولية سياسيا واقتصاديا وعسكريا، وان هذا وغيره قد شكل جزءا من الصراع الايديولوجي والاقتصادي- الاجتماعي والعسكري بين المعسكر الرأسمالي والاشتراكي، بين الرأسمالية والاشتراكية، وبين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي.

ثانياً :- لماذا ولمصلحة من يتم تنفيذ برنامج الخصخصة؟

ليس من باب الصدفة ان يتم تفكيك الاتحاد السوفيتي من قبل قوى الثالوث العالمي والتي انفقت على عملية التفكيك مبلغا فلكيا يتراوح مابين 13 الى 15 تريليون دولار "3"، ومن خلال التعاون والتنسيق مع غورباتشوف، وياكوفلييف، وشفرنادزه، ويلتسين، وبريماكوف، وفولسكي، وكرافجوك، واربتوف، وافاناسييف...، وتمت هذه العملية تحت غطاء مايسمى بالبيريسترويكا التي خططت لها قوى الثالوث العالمي، ونفذها "قادة البيريسترويكا" الذين لم يكونوا في يوم شيوعين مبدئيين، ومخلصين حقيقيين لا لحزبهم ولا لشعبهم ولا لفكرهم، فكان هدفهم الرئيسي هو تقويض النظام الاشتراكي ومنجزاته في الميادين السياسية والاقتصادية- الاجتماعية والثقافية والعسكرية!!.

يؤكد غورباتشوف ان "هدفي في الحياة هو القضاء على الشيوعية "4".. اما بوريس يلتسين اذ يقول "انا سأعمل على تفكيك الاتحاد السوفيتي، هذا النظام البلشفي الاحمر... انا سأمنع نشاط الحزب الشيوعي... انا سألغي الساحة الحمراء، وسوف يتم حرق الملايين من البطاقات الحزبية فيها، وسأخرج لينين من ضريحه، وسأحرق هذه "الدمية" {المقصود بها لينين}، وسأقوم بنزع النجمة الحمراء من الكرملين، أخرب العلم السوفيتي بالكامل وسوف اهدم القاعدة الصناعية وسوف اقضي على الثقافة والادب السوفيتي بالكامل والمتمثلة بالسينماء والموسيقى...، وسوف اقلع الشيوعية من فكر وايمان المواطن حتى لو تطلب ذلك ان اقلص عدد سكان الاتحاد السوفيتي مرتين {كان عدد سكان الاتحاد السوفيتي 300 مليون نسمة}، وسوف يتم بناء الملايين من الكنائس محل المصانع والمعامل والمزارع"5".

وبعد غياب الاتحاد السوفيتي في عام 1991، اصبح الباب مفتوحا امام قوى الثالوث العالمي وادواتها العالمية بهدف تقويض البلدان الرافظة لما يسمى بالعولمة الامبريالية ويتم تحقيق ذلك اما عن طريق التدخل العسكري المباشر لهذا النظام وتحت مبررات ومنها على سبيل المثال "غياب حقوق

الانسـان، والديمقراطيـة، والعلنيـة..."اما الموضـة الجديـدة وهـي "مكافحـة الارهـاب الـدولي والتطـرف" و "تصـفية اسـلحة الـدمار الشامل..."!! وهذه الحجج سيف مسلط على رقاب الشعوب وقواها السياسية المخلصة الرافضة لهيمنة القطب الواحد، ويتم استخدام هذه الحجج من قبل "الديمقراطيات الكبرى" ووفقا لمعيارها المعروف الا وهوة معيار الكيل بمكيالين، وان ما حدث للشعب اليوغسلافي ونظامه الشرعي ماهو الا دليل على ذلك، ولايستعيد من تكرار سيناريو تقويض الرئيس اليوغسلافي سلوبودان او تعديل هذا السيناريو وفقا للمتغيرات الدولية بهدف تقويض هذا النظام او ذاك.

وتمارس قوى الثالوث العالمي سياستها الواعية في ترويض الشعوب وافقارها، وماحدث ويحدث اليوم للشعب اليوغسلافي والشعب السوفيتي والشعب الفلسطيني وشعوب اوربا الشرقية وغيرها من الشعوب ماهو الا دليل قاطع على نهج الامبريالية العالمية بهدف تصريف ازمتها العامة ولصالح مايسمى "بالمليار الذهبي" ويستهلك اليوم 75 بالمئة من الطاقة العالمية و85 بالمئة من الاخشاب في العالم، و 79بالمئة من الوقود، و 72 بالمئة من الفولاذ في العالم، وان كل فرد من "المليار الذهبي" يستهلك من الموارد الطبيعية بالمتوسط اكثر من (20) مرة مما يستهلكه الفرد في البلدان النامية، وكما يلاحظ ان "المليار الذهبي يسيطر على تجارة التكنولوجيا المتقدمة بنسبة 85 بالمئة من الانتاج العالمي ويسيطر على 90 بالمئة من تصدير رأس المال العالمي"6"، ومن هنا ينبع السؤال او الاسئلة المشروعة: ماهو الهدف الرئيسي من تنفيذ الخصخصة؟ ولمصلحة من؟ ولماذا تمارس المؤسسات الدولية ضغوطها المختلفة على الدول المستقلة من اجل تطبيق هذه الوصفة؟ وماهي اهم ميادين تطبيق هذه الوصفة؟

1. الميدان السياسي :-

ان الهدف الرئيسي هو تقويض البلدان الاشتراكية والبلدان الرافضة لسياسة وهيمنة القطب الواحد في البلدان النامية ويتم ذلك تحت مبررات ووسائل متعددة، والعمل على افساد وتخريب النشاط السياسي النظيف، وخلق الفوضى وعدم الاستقرار السياسي والاقتصادي- الاجتماعي من خلال تأسيس "دكاكين سياسية" لاتعد ولاتحصى ويصعب على السياسي والمواطن البسيط في آن واحد من معرفة هذه "الاحزاب" بالاضافة الى ذلك تتم عملية شراء الذمم والاختراق السياسي سواء للحزب الحاكم او لبقية الاحزاب السياسية، والعمل على ايجاد "اصدقاء" و "حلفاء" لها في السلطة التنفيذية والتشريعية، والعمل على تأسيس عشرات، بل والمئات من الصناديق والجمعيات والروابط... وتحت مسميات متعددة وحصولها على شرعية العمل والنشاط، وان غالبية هذه الروابط والمراكز، الصناديق، الجمعيات... يتم ادارتها وتوجيهها سياسيا وايديولوجيا وثقافيا... من مركز

واحد سواء كان هذا المركز داخل البلد او خارجه، وخير دليل على مايحدث في روسيا الاتحادية اليوم.

2. الميدان الاقتصادي :-

ان الهدف الرئيسي لوصفة صندوق النقد والبنك الدوليين يكمن في اضعاف دور ومكانة الدولة في الميدان الاجتماعي والاقتصادي، والعمل على اضعاف دور ومكانة القطاع العام في البلدان الاشتراكية، وكما تهدف الوصفة ايضا الى اضعاف دور ومكانة قطاع الدولة في البلدان النامية، ويتم تحقيق كل ذلك عبر وسائل متعددة ومنها: غياب الجدوى الاقتصادية لهذا القطاع او ذاك...، وكما تعمل المؤسسات الدولية ومن خلال تواجد "اصدقاؤها" و"حلفاؤها" في السلطتين التنفيذية والتشريعية من اجل اصدار القوانين الخاصة التي تحقق اهدافهم ويتم تنفيذها "بسرعة وابداع"!! وكما يسعى هؤلاء "الحلفاء- الاصدقاء" وبأستمرار على تخريب وافشال القطاع العام ومن الداخل، والعمل على افساد العاملين فيه من خلال تفشي الرشوة والتسيب في العمل وضعف المراقبة والحساب على نشاط المؤسسات الانتاجية والخدمية، والعمل على زيادة الانفاق الاداري وبشكل مرعب... وبالنتيجة يتم تحويل القطاع العام الى بقره حلوبة للبرجوازية الادارية والبيروقراطين والطفيلين والمافيا، وان هؤلاء وغيرهم قد شكلوا النواة السياسية والاقتصاديةو الاجتماعية لقوى الردة وهم النواة الرئيسية للرأسمالية المتمثلة بالقطاع الخاص الرأسمالي.

ان ماحدث في الاتحاد السوفيتي خلال الفترة (1985-1991) المتمثلة بنهج "البيريسترويكا" وتحت شعارات منها "التجديد، التعجيل، وحقوق الانسان..." تم بشكل واعي ومخطط بهدف تخريب القطاع العام ومن داخله واضعاف دوره الاجتماعي- والاقتصادي، وكما اضعف دور ومكانة الحزب والسلطة التشريعية عن ممارسة دورهما ووظائفهما الرئيسية وظهر قطاع طفيلي تحت تسمية "القطاع التعاوني" وبدأ هذا القطاع بسرقة منتجات القطاع العام والمتاجرة بها بالسوق السوداء واحيانا تم دفن اللحوم ومشتقاتها وسلع غذائية ضرورية اخرى في الغابات المحيطة بمدينة موسكو وغيرها من المدن السوفيتية الاخرى، بهدف افراغ المخازن الحكومية من السلع الاستهلاكية والكمالية والمعمرة وبالنتيجة تم افتعال "ازمة" سياسية واقتصادية- اجتماعية في المجتمع السوفيتي من اجل اثارة نقمة المواطنين السوفيت البسطاء ضد الحزب الشيوعي السوفيتي كحزب حاكم وضد الاشتراكية كنظام لااجتماعي- اقتصادي قائم.

ان من اهم ملامح هذه "الازمة" هو ظهور نظام البطاقات التموينية للسلع الغذائية وغيرها...، وخلال الفترة (1989-1991) اختفى الملح والخبز والكبريت... من الاسواق الحكومية، وبدأ تجار السوق السوداء من "البيريسترويكين- الاصلاحيين" السوفيت- الروس يتاجرون بقوت شعبهم وهذا لم

يحدث حتى خلال الحرب الوطنية العظمى (1941-1945)، وبسبب ذلك وغيره فقد اعضاء الحزب والطبقة العاملة والمواطنين البسطاء الثقة بالحزب وقيادته الحاكمة مما ادى ذلك الى خلق كل المقدمات السياسية والاقتصادية- الاجتماعية والفكرية وحتى النفسية من اجل تقويض الدولة العظمى. الاتحاد السوفيتي (7)

أهم محاور الوصفة

ان اهم محاور هذه الوصفة تكمن في ليبرالية الاسعار، ليبرالية التجارة، تنفيذ برنامج الخصخصة، العمل على اضعاف دور الدولة الاجتماعي- الاقتصادي والغاء دور القطاع العام، تخلي الدولة عن سياسة الدعم للقطاعات الانتاجية والخدمية، العمل على الغاء مجانية التعليم والعلاج والسكن والتخلي عن ضمان توفير العمل، والعمل على تنشيط دور ومكانة القطاع الخاص المحلي والاجنبي في جميع القطاعات الاقتصادية.

ثالثاً :- البلد الغني يتحول الى بلد فقير .

بعض الادلة والبراهين

أ- بعض منجزات الاشتراكية :

كان الاتحاد السوفيتي، وكما هو معروف، دولة عظمى اقتصاديا وعلميا وعسكريا...، وتم تحقيق ذلك خلال فترة قصيرة، بعد ان الحق الشعب السوفيتي الهزيمة الكبرى بالفاشية الالمانية وكان ثمن هذا النصر الكبير هو فقدان مابين 27 الى 30 مليون مواطن سوفيتي، وهذا النصر انقذ شعوب العالم كافة من خطر هذا الطاعون الاسود. لقد تم تحويل الاتحاد السوفيتي بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية عام 1917 من دولة زراعية متخلفة تملك المحراث الخشبي الى دولة صناعية امتلكت القنبلة الذرية والنووية...، واصبحت قوة اقتصادية عظمى، اذ زاد الدخل القومي {بالاسعار الثابتة وبمليارات الروبلات} من 145 في عام 1960 الى (289.9) في عام 1970، ومن (462.2) في عام 1980الى 569.6 في عام 1984، وفي روسيا السوفيتية زادت قيمة الناتج المحلي الاجمالي من 965 مليار دولار في عام 1987 الى 1022 مليار دولار في عام 1989، اما في ظل سلطة "الاصلاحيين- الديمقراطيين" الى 300 مليار دولار عام 2001!!(8)

وتشير الاحصاءات الرسمية خلال الفترة من عام 1919 ولغاية عام 1989 الى ان الانتاج الصناعي في الاتحاد السوفيتي زاد بـ(155) مرة والانتاج الزراعي بـ(4.5) مرات، وزادت انتاجية العمل في القطاعات الصناعية مابين (25-26) مرة وفي القطاع الزراعي بـ(6) مرات للفترة نفسها. لقد ازداد متوسط عمر الفرد خلال سنوات السلطة السوفيتية من 32 عاما الى 72 عاما، ويعمل في الاتحاد السوفيتي ثلث مجموع الاطباء في العالم، كما بلغت دخول العمال الفعلية عام 1979 القدر الذي يفوق مستواها في عام 1913 بـ(10.5)مرة، ودخول الفلاحين (15.8)

مـرات. وازداد عـدد المسـاكن في مـدن الاتحـاد السـوفيتي مـن عـام 1922 وحـتى عـام 1981 بـ(11.4) مـرة، وكـان ينتقـل سـنويا ماينـاهز 15 مليـون مـن المـواطنين السـوفيت الى المسـاكن الجديدة، وازداد عدد سكان الاتحاد السوفيتي من (194.1) مليـون نسـمة عـام 1940 الى (276.3) مليـون نسـمة عـام 1985. امـا متوسط الاجر الشهري فقد ارتفع من (33.1) روبـل في عـام 1940 الى (290) روبـل عـام 1991، كما زاد عدد الباحثين العلميين وحاملي الشهادات العلمية بدرجة بروفسور ودكتور ومرشح علوم...، من (354.2) الف شخص في عام 1960الى (1462.4) الـف شـخص في عـام 1984، ولم تكن جميع المكتبات العامة في روسيا ماقبل ثورة اكتوبر تضم سوى (9) ملايين نسخة من الكتب ، اما في ظل الاشتراكية وخلال الفترة مـن عـام 1919 وحـتى عـام 1984 فكـان في حـوزة المكتبـات مايزيـد عـن (7.4) مليـارات كتاب"9".

لقـد شـغل الاتحـاد السـوفيتي المرتبـة الاولى في العالم من حيث انتاج انواع هامة من المنتوجات الصناعية مثـل حديـد الزهـر والصـلب واسـتخراج الكـروم وخـام المنغنيـز والـنفط والاسمـدة المعدنيـة واحتل الاتحاد السوفيتي مكان الصدارة من حيث انتـاج الصـوف والمنسـوجات وصـيد الاسمـاك والاليات والسكر...، لقد حققت الاشتراكية قوة عسكرية، ومن خلال ذلك تم تحقيق التوازن العسكري مـع الغـرب الامبريـالي وخاصـة مـع الولايـات المتحـدة، وبلـغ تعـداد الجـيش السـوفيتي نحـو (4) ملايـين عسـكري، وكـان لـدى الجيش السـوفيتي (64000) دبابة {مرتـان اكثـر ممـا يملكه النـاتو}، و (67000) مـدفع هـاون {مرتـان اكثـر ممـا لـدى حلـف النـاتو} و (76000) مصـفحة مدرعـة، و(12000) طـائر ومروحيـة عسـكرية مقاتلـة {1.2 مـرة اكثـر ممـا كـان فيـث حـوزة النـاتو}، و(437) سـفينة حربيـة مـن الدرجـة الاولى والثانيـة، واكثـر مـن (300) غواصـة حربيـة، وكـان لـدى الجـيش السـوفيتي (25) صـاروخ عـابرا للقـارات ويحمـل (10) رؤوس نوويـة قابلـة للأنشطار "10".

ان هـذه المنجـزات الكبيرة التي حققـت في الميـدان الاجتماعي والاقتصادي والعلمي والعسكري قد اثارت عـدم ارتبـاح قوىالثـالوث العـالمي ممـا دفعهـا للعمـل والتأمر على الاتحاد السوفيتي وخصصت لهذا الغرض مـابين (13-15) تريليـون دولار، وبـنفس الوقـت ادركـت قـوى الثـالوث العـالمي ومؤسسـاتها الدوليـة انـه لايمكـن تقـويض الاتحـاد السـوفيتي لابالحصـار الاقتصـادي ولابـالحرب، فـالحرب تعـني في واقـع الحـال نهاية شبه حتمية للطرفين بسبب امتلاكهما للسلاح النـووي والـذري والكيميـاوي... وبالتـالي اختـارت هـذه المؤسسـات الدوليـة علـى ان "افضـل" وسـيلة لتحقيـق هـدفهم القاضـي بتقـويض الاتحـاد السـوفيتي هـو مـن الداخل واختراق قيادة وكوادر الحزب الحاكم، فوجدوا

ضـــالتهم في غورباتشـــوف، وبـــاكوفلييف، وشـفرنادزه، ويلتسـين، وبريماكوف، وفولسـكي، واربـــاتوف، وافاناســـييف، وشـــاخ نـــازاروف، وكرافجـوك وغـيرهم وعمـل هـؤلاء "القـادة" مـع حلفـاؤهم في الغـرب الامبريـالي وتحـت غطـاء مايسمى البيريسترويكا كمرحلة اولى بهدف تنفيذ مخططهـم، وفيمـا بعـد بتنفيـذ سياسـية مايسـمى بالاصلاح الاقتصادي، ومما يؤسف له، ان هؤلاء القادة "وحلفاؤهم قد "نجحوا" في تنفيذ مخططهم، وتم تقـويض الاتحـاد السـوفيتي ولاسـباب عديـدة منهـا: تحـول الحـزب الى جهـاز بيروقراطـي اداري نفعي، وغيـاب الديمقراطيـة الشـعبية، وغيـاب دور الطبقـــة العاملـــة في صـــنع القـــرار السياســـي والاقتصـادي وغـير ذلـك مـن الاسـباب، وفي عـام 1991 اختفـى الاتحـاد السـوفيتي مـن الخارطـة السياسية وظهرت 15 دولة مستقلة!!

ب- بعـــض "منجـــزات" "الاصـــلاحين- الديمقراطين" الروس

منذ عام 1992 ولغاية اليوم طبقت روسيا ولاتـزال مسـتمرة في تطبيـق وصـفة صـندوق النقـد والبنـك الـدوليين، ومـن اجـل الاسـراع في تطبيـق هذه الوصفة استعانت روسيا "الاصلاحية" بخبراء مـن المؤسسـات الدوليـة ومـن امريكـا بالدرجـة الاولى، وعمـل اكثـر مـن خبـير اقتصـادي امريكـي كمستشـار اقتصـادي خـاص للـرئيس بـوريس يلتسين خلال الفترة من عام 1992-1999، وكمـا عمـل في الجهـاز الاداري الروسـي (30) الـف خبيرا اجنبيا ونصف هؤلاء عملوا في الجهاز التنفيذي لـدى انـاتولي تشـوبايس كـوزير للخصخصـة "11"، ومنذ عام 1992 ولغاية اليوم تم تحويل الملكية العامة لوسائل الانتاج الى ملكية خاصة طفيلية، اذ تبلغ نسبة الملكية العامة في روسيا اليوم مابين (15-20) بالمئة "12"، ونعتقد قريبا سوف يتم نقل كل شيء للقطاع الخاص الرأسمالي الطفيلي، وان سياسة الرئيس فلاديمير بوتن ماهي الا امتداد طبيعي شكلا ومضمونا لسياسة الـرئيس السـابق بـوريس يلتسـين، فكـل شـيء تم خصخصـته تقريبـا وحـتى يـدور الحـديث اليـوم عـن خصخصـــته المـــاء ولم يبقـــى ســـوى الهـــواء لم يـــتم خصخصته ولايستبعد في المستقبل القريب- طبعا- اذا اراد "الاصـــلاحيين- الـــديمقراطيين" الـــروس مـــن خصخصة ذلك؟!

وكما يمكن القول ان تنفيذ برنامج الخصخصة في روسيا خلال الفترة 1992-2000 لم يكن شرعيا ولاقانونيا حيث لم يصدر أي تشريع من قبل البرلمان خلال تلك الفترة بهدف تنفيذ هذا البرنامج ولم تتم الموافقة عليه من قبل السلطة التشريعية، حيث تم تنفيذ برنامج الخصخصة عبر مراسيم رئاسية اصدرها يليتسين وفريقه فقط.

نورد بعض اهم "المنجزات" التي حققتها روسيا من خلال تطبيق برنامج الخصخصة خلال الفترة من عام 1992 وحتى عام 2002.

1. هبـوط مسـتمر للانتـاج المـادي اذ بلـغ اكثر من 50 بالمئة، وانخفض الانتاج الزراعي بـ(2) مـرة، والاسـتثمارات بـ(10) مـرات بالمقارنة مع عام 1990، وخلال الفترة من عام 1992 وحتى عام 1995، كما يشير الاكـاديمي لفـوف، انخفـض الـدخل القـومي بنسبة (63) بالمئة، الانتاج الصناعي بنسبة 81 بالمئة وتوقف عن العمل اكثر من 300 الـف مصنع ومعمـل منهـا (4000) مصنع كبير، وبلغت الخسائر المادية لروسيا خلال الفـترة (1992-1995) بـ(3.2) تريليـون دولار، وهـذه الخسـارة لم يشـهد لهـا أي بلـد مـــن بلـــدان العـــالم "13". وكمـــا يؤكـــد الاكـــاديمي الروســـي غينـــادي ميســـايس، وبافتراض ان روسيا سوف تحقق معدل نمو سـنويا للنـاتج المحلـي الاجمـالي بنسـبة 8%، وان اميركـا تحقـق معـدل نمـو سـنوي للنـاتج المحلي الاجمالي بنسبة 1% لنفس الفترة فهذا يعـني ان روسـيا تحتـاج الى 236 سـنة مـن اجـل ان تصـبح بمسـتوى القـوة الاقتصـادية لاميركا "14"، علما ان الاتحاد السوفييتي قد احتـــل المرتبـــة الثانيـــة- الثالثـــة في القـــوى الاقتصادية عالميا.

2. تنـــامي المديونيـــة الداخليـــة والخارجيـــة خلال فترة مايسمى بالاصلاح الاقتصادي، اذ بلغـــت حـــتى 2001 بـــ(240) مليـــار دولار، وبالمقابل فأن عملية هروب رؤوس الاموال من روسيا الى الخارج كانت ولاتزال تشكل ظاهرة خطـيرة علـى الاقتصـاد والمجتمـع الروسـي، وبهـذا الخصـوص يشـير مـدير معهـد البحـوث السياسـية والاجتماعية، وعضو الاكاديمية الروسية الاكاديمي غينـادي اوسـيبوف الى انـه بلغـت الامـوال المهربـة خـلال الفـترة (1992-2000) بمـا يقـارب مـن (4) تريليـون دولار، وتعمـل هـذه الامـوال لصـالح الاقتصـاد الرأسـمالي الغربي بالدرجـة الاولى "15". وتـأتي روسـيا في عمليـة غسـيل الامـوال بعـد غواتيمـالا ونيجيريـا ومصـر، وتنـامي العجـوزات المســـتمرة للميزانيـــة الحكوميـــة خـــلال الفـــترة (1992-1999)، فعلـى سـبيل المثـال بلغـت الميزانيـة الحكوميـة لروسـيا "الاصـلاحية" (20) مليار دولار لعام 1999، في حين بلغت الميزانية لروسـيا السـوفيتية (618) مليـار دولار في عـام 1989.

3. انحطـاط المسـتوى المعيشـي للغالبيـة العظمـى مـــن المـــواطنين الـــروس، وان (85) بالمئـــة مـــن السكان يعيشون في حالة فقر وجوع دائم، وان متوسـط الاجـر الشـهري اقـل مـن الحـد الادنى الضـروري للعـيش مـابين (2-4) مـرات، وكمـا يلاحـظ ان 50 بالمائـة مـن العوائـل الـتي لـديها طفـل واحـد تعـيش في حالـة فقـر، وان 65 بالمئـة من العوائل التي لديها طفلين تعيش في حالة فقر مزمن، وان 85 بالمئة من العوائل التي لديها (3)

اطفال تعيش في حالة فقر مدقع، وتقلص عدد السعرات الحرارية في اليوم الواحد من (3340) سعرة في عام 1989 الى (2200) سعرة حرارية في اليوم في عام 1999، في حين من المفروض ان يحصل الفرد الواحد مابين (2500-3000) سعرة حرارية في اليوم"16".

ومن اخطر النتائج الاجتماعية لبرنامج الخصخصة هي تنامي معدل البطالة والجريمة في المجتمع وخاصة وسط الشباب، اذ يوجد اكثر من (20) مليون عاطل عن العمل وهم بأعمار تتراوح مابين (20-45) سنة، وكما يوجد (20) مليون باحث ومهندس ومدرس...، لايعملون في اختصاصاتهم العلمية، بل يمارسون عملية بيع وشراء السلع الغذائية والكمالية او حسب مايطلق عليهم "بتجار الشنطة" وتفيد الدراسات العلمية في حالة دخول روسيا لمنظمة التجارة العالمية (WTO)، فان معدل البطالة سيتضاعف وسوف تفقد روسيا (20) مليون فرصة عمل"17".

وكما يلاحظ ايضا تنامي معدل الجريمة بسبب سياسة "الاصلاح الاقتصادي" حيث يحدث في روسيا سنويا مابين (10-11) مليون جريمة "18"، في حين في الاتحاد السوفيتي وخلال الفترة من 1955-1985 حدثت مليون و800 الف جريمة "19"، وكان الاتحاد السوفيتي يشكل سدس مساحة العالم؟! وحسب تقديرات الداخلية الروسية يوجد في روسيا (10000) منظمة اجرامية تظم (300000) عضوا، وخلال (10) سنوات من "الاصلاح الاقتصادي" قتل (300) الف شخص من قبل المافيا الاجرامية، وان (300) الف شخص مصيرهم مجهول"20"؟! وكما يوجد (30) مليون مواطن يتعاطون المخدرات، وتبلغ قيمة المبيعات السنوية للمخدرات في السوق الروسية مابين (10-12) مليار دولار "21".

4. وبسبب تطبيق برنامج الخصخصة وخلال الفترة 1992-2002 فقدت روسيا مابين (13-15) مليون انسان "22"، وخلال نفس الفترة بلغ عدد حالات الانتحار بـ(500) الف حالة، وتقلص عمر الرجال بـ(8) سنوات، والنساء بـ(4) سنوات "23"، وخلال نفس الفترة فقدت روسيا (300) الف شخص بسبب حوادث السيارات، وتفقد روسيا سنويا مابين (30-40) الف شخص بسبب تعاطي الكحول المسممة، وان 60 بالمئة من الكحول في السوق الروسية غير صالحة للأستعمال "24"، وان مابين (40-60) بالمئة من السلع الغذائية والدوائية غير صالحة للاستعمال، وان (4) مليون طفل لم يدخلوا المدارس، وحسب تقديرات وزارة الدفاع الروسية فأن 25 بالمئة من الشباب الملتحقين بالخدمة الالزامية من الريف هم أميين، وخلال عام 2002 فقد تم اغلاق اكثر من (13000) مدرسة

ومعهد تكنيكي في الريف الروسي، وكما يوجد اليوم في روسيا (10) مليون امي، ويوجد (800) الف طفل مشرد "25"، وهذا الرقم لم يحدث حتى في ظل الحرب العالمية الثانية، وتقلص عدد الاطفال في روسيا من (40) مليون طفل عام 1990 الى (30) مليون طفل عام 2003 وهناك تقديرات تؤكد سيصل عدد الاطفال في روسيا في عام 2010 الى (25) مليون طفل "26"!! وخلال فترة ما يسمى بالاصلاح الاقتصادي (1992-2002) تم بيع (35000) طفل للخارج"27"، وخلال نفس الفترة هاجر من روسيا الى الخارج (2.5) مليون شخص "28" ولاسباب اقتصادية بالدرجة الاولى، وسنويا يهاجر من روسيا (100) الف عالم وباحث"29"...، الى اسرائيل وامريكا والمانيا...، فكم هي خسارة روسيا المادية من ذلك؟! وهل تم ويتم هذا عن طريق الصدفة؟!

وكما يوجد في روسيا اليوم (10) مليون معوق منهم (600) الف طفل يعانون والمرض والجوع...، وكما يوجد (4) مليون متقاعد يحصلون على الحد الادنى للتقاعد وهو (660) روبل أي مايعادل (22) دولار في حين الحد الادنى الضروري للفرد هو (200) دولار في الشهر "30".

5. ان اسوء ما احرزه تطبيق برنامج الخصخصة هو تفشي الرشوة في المجتمع الروسي واصبحت تشكل ظاهرة اجتماعية واقتصادية خطيرة تهدد بخراب وتهديم كيان المجتمع والدولة على السواء، فعلى سبيل المثال لايمكن انجاز أي معاملة قانونية الا من خلال دفع رشوة يحددها المسؤول في السلطة التنفيذية او ماينوب عنه (المافيا)، ولايمكن القبول في المعاهد والجامعات الروسية، ولايمكن تقديم الامتحانات حتى لو كنت انشتاين الا من خلال دفع الرشوة التي حددتها قوى السوق فالمعروف اليوم في روسيا "التعليم مجاني ولكن بالدولار الامريكي" وكما لايمكن ان تحصل على العلاج الطبي الا من خلال دفع الرشوة المحددة لكل نوع من الدواء او العملية، ولايمكن ان تفتح أي مشروع انتاجي او خدمي، الامن خلال دفع رشوة الى المسؤول في السلطة التنفيذية بدليل تبلغ الرشوة السنوية في روسيا مابين (37-40) مليار دولار "31".
6. وبسبب تطبيق سياسة مايسمى بالاصلاح الاقتصادي التي اعدتها المؤسسات الدولية ومنها صندوق النقد والبنك الدوليين، ومنذ عام 1992 ولغاية اليوم فأن روسيا تحتل المرتبة الاولى في العالم في عملية القتل

والثانية في عملية الانتحار، والثالثة في العالم في تهريب (سرقة) الاطفال اذ يصل سعر بيع الطفل الواحد مابين (10-20) الف دولار، وهناك منظمات مافوية تمارس هذه الانشطة اللامشروعة واللاانسانية، ناهيك عن تفشي ظاهرة التلوث الاجتماعي وتجارة "السلع الحية" في الخارج، وكما تحتل روسيا المرتبة الثانية في العالم في عدد السجناء بعدما احتلت الولايات المتحدة المرتبة الاولى في ذلك "32"!!

7. الجدول رقم (1) يوضح لنا مقارنة للقطاعين الصناعي والزراعي في ظل الاقتصاد الاشتراكي لعام 1989 وفي ظل الاقتصاد الرأسمالي لعام 2001، وان الجدول يعكس الحقيقة الموضوعية لدور ومكانة الاقتصاد الروسي بسبب التحول من الاشتراكية الى الرأسمالية المتوحشة من خلال تطبيق برنامج الخصخصة منذ عام 1992 ولغاية اليوم، فالجدول ليس بحاجة الى تعليق فالارقام هي التي تعكس الواقع الموضوعي.

ان تنفيذ برنامج الخصخصة في روسيا قد ارجع انتاج القطاع الصناعي الى مستوى الثلاثينيات- والاربعينيات وحتى اكثر من ذلك!! من القرن الماضي، وفي بعض انواع الانتاج الصناعي وهي على سبيل المثال الصناعات الصوفية ارجعت الى مستوى انتاج عام 1900، وصناعة انتاج السيارات الى مستوى انتاج 1937، ومستوى انتاج صناعة التراكتر الى مستوى انتاج عام 1931، وانتاج الراديو الى مستوى انتاج عام 1947، وصناعة الاخشاب الى مستوى انتاج عام 1929، وصناعة القماش بكل اصنافه الى مستوى انتاج عام 1929، وصناعة القماش بكل اصنافه الى مستوى انتاج عام 1910.

اما بالنسبة للقطاع الزراعي فالوضع فيه كارثي ومأساوي، فأن "الاصلاحين- الديمقراطين" الروس قد خربوا والغوا تقريبا كل الكلخوزات والسفخورات، مما أدى بروسيا "الاصلاحية" ان تستورد مابين (60-70) بالمئة من السلع الغذائية من الخارج، وتنفق سنويا على استيراد السلع الغذائية اكثر من (12) مليار دولار، فعلى سبيل المثال فأنتاج اللحوم في عام 2001 ارجع الى مستوى انتاج عام 1953، وارجع انتاج تربية المواشي الى مستوى انتاج عام 1885، وارجع انتاج تربية الغنم والماعز الى مستوبا عام 1750 "33"!! هذا مايحصل ويحصل اليوم في روسيا "الاصلاحية" البلد الغني في موارده الطبيعية والبشرية، اذ تحتل روسيا المرتبة الاولى- الثانية عالميا في انتاج النفط والغاز والالمنيوم والغابات...، وقدرت خسارة الشعب السوفيتي- الروسي من جراء تنفيذ برنامج الخصخصة بأكثر من (14) مرة مما خسره الاتحاد السوفيتي في حربه العادلة ضد الفاشية الالمانية "34"، وحسب تقديرات البنك الدولي فأن اكثر من

(42) مليون مواطن روسي يعيشون تحت خطر الفقر، واقع الحال هو اكثر بكثير من ذلك. فماذا حصلت وستحصل شعوب بلدان اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية الفقيرة في مواردها الطبيعية والبشرية من خلال تطبيقها لاسوء برنامج عرفه التاريخ الحديث الا وهو برنامج الخصخصة؟!

(جدول رقم 1)
مقارنة للأنتاج الصناعي والزراعي في ظل التخطيط الاقتصادي المركزي وبرنامج الخصخصة "35"

نوع الانتاج	وحدة القياس	السنوات		أي مستوى من الانتاج يطابق انتاج عام 2001
		1989	2001	
أ- الانتاج في القطاع الصناعي				
النفط	مليون طن	552	337	1972
الفحم	مليون طن	410	269	1957
الانابيب الفولاذية	بالالف وحدة	12510	5404	1965
العربات	وحدة	28000	7385	1910
ماكنة قطع المعادن	وحدة	27000	1290	1931
سيارات النقل (لوري)	بالالف وحدة	697	173	1937
ماكنة كبس الحديد	وحدة	27800	1290	1933
تراكتر	بالالف وحدة	235	15.2	1931
ماكنة الحصاد	وحدة	62200	9063	1933
جهاز الراديو	بالالف وحدة	5561	273	1947
تلفزيون	بالالف وحدة	4465	1004	1958
كبريت الكالسيوم	بالالف طن	3546	2334	1968
الاخشاب	مليون متر مكعب	351	87.2	1929
الاخشاب المنشورة	مليون متر مكعب	83	17.3	1930
الورق	بالالف طن	5344	3415	1969
الاسمنت	مليون طن	84.5	35.1	1962
صناعة الطابوق	مليار وحدة	24.1	10.5	1953
القماش بكل اصنافه	مليون متر مكعب	8707	2617	1910
الصوف	مليون متر مربع	471	56.4	1880
الاحذية	مليون زوج	377.7	32.2	1900

نوع الانتاج	وحدة القياس	1989	2001	يطابق انتاج عام 2001
ب- الانتاج في القطاع الزراعي				
اللحوم	بالالف طن	6621	1233	1953
الالبان	بالالف طن	20800	6734	1963
الزبدة الحيوانية	بالالف طن	820	269	1956
الحليب	مليون طن	55.7	32.9	1958

رابعا :– ستالين– حذر من الخطر.. ولكن؟!

لقد حذر من أحتمال ظهور وعودة قوى الثورة المضادة في داخل الاتحاد السوفيتي من خلال حصولهم على الدعم المادي والمعنوي من قبل الامبريالية العالمية وحلفائها لان: "المهمة الرئيسية لاعداء الشعب السوفيتي هي اسقاط النظام السوفيتي واقامة الرأسمالية وسلطة البرجوازية في الاتحاد السوفيتي، ومن خلال ذلك فسوف تتحول البلاد الى ملحق للغرب، بلد مصدر للمواد الخام الاولية، وان الشعب السوفيتي سيتحول الى عبيدا للأمبريالية العالمية يرثى لحاله. ان المكانة مهمة في خطط اعداء الشعب السوفيتي تعطى بالدرجة الاولى لتقويض القوة الاقتصادية والعسكرية للأتحاد السوفيتي والتهيئة العسكرية من اجل الحاق الهزيمة العسكرية بالاتحاد السوفيتي والاستيلاء على السلطة واقامة نظام بونابارتي في البلاد بالاستناد على القوة العسكرية وعلى عناصر من الاوباش والمجرمين والمنسلخين من طبقتهم والذين يمثلون قوى الثورة المضادة. ان هؤلاء الحقراء والخونة والاذلاء عازمين قبل كل شيء التخلي عن الملكية الاشتراكية وبيعها، وتحويل الملكية العامة لوسائل الانتاج الى ملكية خاصة رأسمالية، على اعتبارها عنصر مهم في العلاقات الاقتصادية لأقتصادنا الوطني، وتحت حجة غياب الجدوى الاقتصادية سوف يتم تصفية السفخوزات (مزارع الدولة) وحل الكلخوزات (المزارع التعاونية)، وبيع المكائن والالات الزراعية الى شركائهم في الرأي او ما يسمون بالمزارعين من اجل انبعاث (ظهور) نظام الكولاك في الريف السوفيتي، واخضاع البلاد للأجانب عن طريق الحصول على القروض واعطاء منح وامتيازات هامه للدول الامبريالية من اجل الاستحواذ على مشاريعنا الصناعية، واعادة منطقة ساخالين النفطية الى اليابان"36". وقد جاء هذا التحذير في ايار من عام 1941 أي قبل نصف قرن من خطر عملية تفكيك الاتحاد السوفيتي والتي تمت في عام 1991 وتحت غطاء ما يسمى بالبيريسترويكا وشعاراتها والمتمثلة بـ"سياسة التفكير الجديد، والتعجيل، والتطوير، وحقوق الانسان..."!!

ان سياسة مايسمى بالاصلاح الاقتصادي والتي تحمل طابعا اقتصاديا– اجتماعيا وايدولوجيا، ويشكل برنامج الخصخصة الجزء الهام في هذه الوصفة. ان المؤسسات الاقتصادية والمالية الدولية هي

التي كانت وراء هذه الوصفة، وهي تهدف الى تطبيقها وفرضها على الشعوب والدول، وتبين تجربة البلدان النامية ودول اوربا الشرقية ورابطة الدول المستقلة التي طبقت هذه الوصفة اذ ادخلت شعوب هذه الدول في دوامة من الفوضى وعدم الاستقرارا السياسي والاقتصادي- الاجتماعي، وبسبب تطبيق هذه الوصفة تفشت كل الامراض وفي مقدمتها البطالة وتفشي الجريمة والمخدرات وتنامي معدل المديونيةالداخلية والخارجية، وان ماحدث في شمال افريقيا "بثورة الجياع او الخبز" الا دليل حي على ذلك. وكما ساعدت هذه الوصفة على صعود قوى اليمين المتطرف وفي قلب اوربا ومنها هولندا، السويد، استراليا، الدنمارك، النرويج، بلجيكا...، ناهيك عما حدث ويحدث اليوم في جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق.

ونعتقد في حال استمرار تطبيق هذه الوصفة، فأن العالم سيدخل في ازمة عامة وشاملة وفي دوامة من الفوضى وعدم الاستقرار اكثر عمقا واكثر تناقضا مما هو عليه اليوم، وماحدث في الارجنتين من مأسي وجرائم بسبب تطبيق هذه الوصفة الا دليل وبرهان على بعض نتائج مايسمى بسياسة الاصلاح الاقتصادي، ولايستبعد من ان يتحول العالم بسبب هذه السياسة اللامنطقية الى ارجنتين عالمية وستكون النتائج وخيمة على الصعيدين المحلي والعالمي.

خامساً :- وجهة نظر: ماهو المخرج؟

نعتقد، من اجل التجنب في وقوع الكارثة وبكل ابعادها المأساوية في المستقبل سواء على صعيد كل دولة او على الصعيد العالمي، نقترح الاتي :

اولاً :- العمل على تعزيز الدور الاجتماعي والاقتصادي للدولة، وتعزيز دور ومكانة قطاع الدولة من خلال تأميم كافة الموارد الطبيعية الاستراتيجية ومنها (النفط، الغاز، الغابات، الحديد...) وبهذا الاجراء سوف يتم تركيز العوائد المالية في يد الدولة وبالتالي تستطيع الدولة ان تتصرف بهذه العوائد المالية وفقا لخطة مدروسةومعدة مسبقا لصالح الشعب، وليس كما يحدث في ظل مايسمى بسياسة الاصلاح الاقتصادي فالمستفيد الاول من عوائد هذه الموارد هم الاوليغارشية والبيروقراطية والطفيلين والمافيا، وان بناء ماخربته حروب نظام صدام حسين- على سبيل المثال- لايمكن الا من خلال تدخل الدولة بشكل مباشر في الميادين الاقتصادية والاجتماعية....

ثانياً :- العمل على تأميم المشاريع الصناعية والزراعية الاستراتيجية وكذلك تأميم التجارة الخارجية والمشروبات الكحولية وانتاج الدخان، وان تصبح الدولة هي المسؤولةالمباشرة عن هذه الانشطة لما فيها من منافع اقتصادية واجتماعية وصحية وحماية امن وسلامة المواطنين، وبهذا الخصوص- على سبيل المثال- فأن (85-90) بالمئة من الشعب الروسي يؤيد ذلك.

ثالثاً :- العمل على مجانية التعليم والعلاج وحق العمل والسكن وضمان حق المواطن في الراحة والشيخوخة وفق دستور، هذه هي اهم الحقوق الانسانية للمواطن، وليس "حق" الثرثرة الاعلامية او "حق" الدعارة والتلوث الاجتماعي، والمخدرات...؟!

رابعاً :- من الضروري اعادة النظر بالمؤسسات الحكومية الانتاجية والخدمية التي تمت خصخصتها أي بيعها للقطاع الخاص الطفيلي، حيث تم بيع مؤسسات الدولة بسعرمابين (2-3) بالمئة من قيمتها الفعلية فعلى سبيل المثال تم بيع (500) مؤسسة انتاجية في روسيا بـ(7) مليار دولار، في حين قيمتها الحقيقية هي (200) مليار دولار، وهناك تقدير اخر يؤكدعلى ان قيمة هذه المؤسسات هي (900) مليار دولار. وضرورة التحقق عن اسلوب البيع واسلوب التقيم لهذه المؤسسات المخصخصة، وبالتالي يساعد كل ذلك على معرفة الاسباب الحقيقية لتراكم رؤوس الاموال لدى "القطط السمان" الروس وغيرهم، وبهذا الخصوص يؤكد فلاديمير بوتين على انه لن يسمح بأعادة النظر في تطبيق برنامج الخصخصة في روسيا؟

خامساً :- عدم السماح للقطاع الخاص من ان يمارس نشاطه في ميدان قطاع التعليم ولجميع مراحله، لان هذا القطاع الهام والحيوي لايحتمل الخطأ والتجريبية، "فمبدأ" التجريبية يعني ارجاع البلد الى الوراء اكثر من 30 سنة، وكما اثبتت الحياة وبالملموس ان القطاع الخاص هدفه الاول والاخير هو الربح، ثم الربح، ثم الربح، وليس اعداد الكوادر العلمية والمهنية للأقتصاد الوطني، فاغلبية البلدان التي طبقت وتطبق اليوم سياسة "الاصلاح الاقتصادي" فأن قطاع التعليم فيها يخرج الالاف، بل الملايين اشباه الاميين، فهم يشكلون عبيء على الاقتصاد والمجتمع، وماينطبق على قطاع التعليم ينطبق على قطاع الصحة.

سادساً :- السماح للقطاع الخاص وفق القانون في ان يمارس نشاطه في بعض الانشطة الانتاجية والخدمية ومنها على سبيل المثال في مجال الصناعات الخفيفة، وفي الزراعة، وفي بعض انشطة النقل الداخلي وفي الفندقة والسياحية...، ولكن بشرط ان تخضع جميع هذه الانشطة لرقابة السلطة التنفيذية، وهذه السلطة يجب ان تعتمد على القوانين التي يتم تشريعها من قبل السلطة التشريعية (البرلمان) وبشكل مباشر من حيث تحديد اسعار بيع المنتجات واسعار الخدمات، ومن الضروري ان تتولى الدولة وبشكل مباشر الرقابة على نوعية وجودة الانتاج...، علما ان الطبقة البرجوازية ترفض كل انواع الرقابة والحساب على جميع نشاطاتها، ولكن مصلحة الشعب وامن الدولة فوق أي اعتبار وفوق مصلحة الفئة التي تشكل الاقلية في المجتمع، هذا هو قانون المجتمع العادل والديمقراطي. واخيرا احذروا من تطبيق برنامج الخصخصة؟؟؟.

سادساً :- هوامش البحث

بحوث ودراسات

1. جريـدة روسـيا السـوفيتية 2002/7/25 باللغـة الروسـية، والجريـدة المسـتقلة 2004/7/29 باللغة الروسية.
2. انظر جورج كيم، ثورة اكتوبر ومصائر شعوب اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية، موسكو 1987 ص34، وجريدة قاسيون العدد 185، 2002/11/7.
3. مجلة الشيوعي العدد الاول، كانون الثاني- شباط السنة 2004 ص94 باللغة الروسية.
4. مجلة المواطن، العدد الثاني السنة 2000 ص72 باللغة الروسية، جريدة قاسيون العدد 154، 2001/7/12.
5. مجلة الشيوعي العدد الاول، مصدر سابق ص93.
6. جريدة باتريوت العدد 25 حزيران السنة 2002 باللغة الروسية.
7. انظر مجلة المستقبل العربي العدد الاول، بيروت السنة 1996 ص44-46.
8. جريدة قاسيون العدد 176، 2002/5/30.
9. الاتحاد السوفيتي بالارقام، السنة 1984، ص84 باللغة الروسية..
10. انظر جريدة قاسيون العدد 185، 2002/11/7.
11. جريدة قاسيون العدد 206، 2003./10/2
12. جريدة روسيا السوفيتية، 2003/3/18، 2003/12/27، جريدة البرافدا 26-2003/9/29 باللغة الروسية.
13. مجلة الاقتصاد والمجتمع العدد 9،السنة 2001 ص61 باللغة الروسية.
14. انظر الجريدة المستقلة، 2003./12/24
15. جريدة فيرسيا العدد 42، 3-2001/11/10، ص10 باللغة الروسية، جريدة روسيا السوفيتية 2000./6/19
16. جريدة البرافدا 2004/2/19، وجريدة روسيا السوفيتية 2004/5/20، جريدة البرافدا 8-2004./6/9
17. جريدة روسيا السوفيتية 2000/3/24، 2001/11/17، وجريدة باتريوت العدد22، حزيران/ .2002
18. جريدة روسيا السوفيتية 1994/11/15، و 1995/4/27،وجريدة زافترا (الغد) العدد 43، تشرين الثاني السنة 1994، باللغة الروسية.
19. جريدة البرافدا 1993./2/2
20. جريدة برافدا روسيا، العدد 34، 8/27-2003/9/2 باللغة الروسية، وجريدة روسيا السوفيتية 2003./9/9
21. جريدة روسيا السوفيتية 2003/7/24، 2003/9/9، 2004./3/11
22. جريدة البرافدا 2004./2/19
23. جريدة برافدا روسيا العدد 34، 8/27-2003/9/2، الجريدة الاقتصادية العدد 25 حزيران السنة 2004، باللغة الروسية.
24. جريدة البرافدا 2004/2/19، وجريدة روسيا السوفيتية 2004./6/19
25. جريدة دوسيه 2، السنة 2002، باللغة الروسية، جريدة روسيا السوفيتية 2003/3/15، 2003/10/30، 2004/3/11، 2004/5/8، 2004/6/26، وجريدة برافدا روسيا العدد 34 (مصدر سابق) وجريدة باتريوت العدد 9-10/ اذار/ 2004، التلفزيون الروسي 2003./12/27
26. مجلة الشيوعي العدد الرابع، تموز 2003، ص116، باللغة الروسية، وجريدة روسيا السوفيتية 2004/5/8، وجريدة روسيا الكادحة رقم 15 السنة 2003، باللغة الروسية.
27. جريدة برافدا روسيا العدد 34، مصدر سابق.
28. جريدة البرافدا 2004./3/24-23
29. جريدة باتريوت العدد 7 شباط 2003، وجريدة روسيا السوفيتية 2003./9/9
30. جريدة برافدا روسيا العدد 6، 2004/2/11، وجريدة روسيا السوفيتية 2004/5/8، وجريدة برافدا روسيا العدد 25، 7-2004./7/13
31. جريدة سفير شينايا سيكريتنايا (سري للغاية) العدد 3، اذار 2004، باللغة الروسية، وجريدة العمل، 2002/11/21، باللغة الروسية.
32. جريدة باتريوت، العدد 29، تموز/ 2003، وجريدة باتريوت العدد 37/ ايلول 2003، والجريدة المستقلة 2003/8/11، وجريدة روسيا السوفيتية، 2004./9/2
33. جريدة روسيا السوفيتية 2001/6/22، 2002/5/30، وجريدة البرافدا 11-2002./6/13
34. جريدة مير زاميرو (العالم من اجل السلام) العدد 21- ايار/ 2004، باللغة الروسية.
35. مجلة الحوار العدد الثامن- اب/ 2002، ص31، باللغة الروسية، وجريدة روسيا السوفيتية 2002/4/6، 2002/5/30، وجريدة البرافدا 11-2002./6/13
36. يوسف ستالين، المؤلفات الكاملة، المجلد 15، صفحة 33،34، باللغة الروسية.